

(٩) شرح كتاب وصية ابن قدامة المقدسي (مراقبة الله عزوجل

وخيته) - لفضيلة الشيخ أ.د سعد الخثلان

سعد الخثلان

ثم قال المصنف رحمة الله مراقبة والخشية بدأ بالتفكير قال واعلم ان الله تعالى ناظر اليك مطلع عليك. فقل فقل لنفسك لو كان رجل من صالح قوم يراني لاستحي منه فكيف لا استحي من ربى تبارك وتعالى ثم لا امن تعجب عقوبته وكشف ستره. يعني اذا كنت -

00:00:00

تستحي ان يطلع عليك احد من صالح قومك او من انسان تاحترمه او تقدرها كيف لا تستحي من الله عزوجل وانت تقع في المعصية واعلم انك لا تقدر على معصيتك الا بنعمتك. يعني وهذا يستدعي ان تستحي ان تعصي وانت لا تقدر على نعمتك الا بنعمتك - 00:00:30 وانت لا تقضي على معصيتك الا بنعمتك. فكم له عليك من نعمة في يدك التي مدتتها الى معصيتك؟ وكم من نعمة في عينك التي بها الى ما حرم عليه وفي لسانك الذي نطق به بما لا يحل لك. وليس من شكر انعامه ان تستعين به على معاشي. يعني التفكير في هذه -

00:00:50

يردع الانسان عن ارتكاب المعاشي. كان بعضهم يقول اللهم اني استغفرك من خطيئة قوي عليها بدني بعافيتك ونالتها يدي بفضل نعمتك وانبسطت فيها بسعة رزقك واحتجبت فيها عن الناس بسترك وجرأني عليها حلمك واناتك - 00:01:10

واتكلت فيها على كريم عفوك. يعني انك لا تستعمل نعم الله تعالى على معاصيه. الستر نعمة الستر هذى نعمة عظيمة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة. بمعنى ان يحرص المسلم على الستر. فاذا وقع من اخيك المسلم زلة - 00:01:30

فاستر هذه الزلة ولا تفضح به ولا تتحدث فيه ولذلك اذا اتاك يعني امر سوء عن رجل من الناس في مقطع لا تنشر هذا المقطع حتى وان كان صدقا حتى وان كان ما ورد في هذا المقطع صحيح ينبغي ان يكون لدى - 00:01:50

نفس الستر وان يعامل الانسان الناس بمثلك ما يحب ان يعامله به. قال وقد روينا ان رجلا اتى ابراهيم بادهم فقال يا ابا اسحاق اني لا اصبر عن المعاشي فقل لي قولا انتفعوا بي. قال نعم اقول لك خمس خصال اذا قدرت عليها لم تضرك المعصية. ما هي - 00:02:10
قال اذا اردت ان تعصي الله فلا تأكل من رزقه. قال فمن اين اكل؟ قال ایحصل ان تأكل من رزقه وتعصي هذه الاولى. الثانية اذا اردت ان تعصي فلا تسكن بلاده. قال هذه اشد من الاولى. اين اسكن؟ قال - 00:02:30

احسن ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصي؟ قال الثالثة اذا اردت ان تعصي فانظر موضع لا يراك فيه فاعصه قال كيف اصنع ما في السماء والارض والجبال والبحار الا وهو له ملك له جل وعلا قال - 00:02:50

ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتجاهره بمعصيته. الرابعة قال اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل اخرني حتى اتوب؟ قال لا لا يقبل مني. قال اذا كنت تعصي ولا تؤمن مفاجأة الموت. ولا يقبل منك فيؤخرك ولا يقبل - 00:03:10

منك فيؤخرك فتموت على غير توبة فكيف يكون حالك؟ الخامسة قال اذا جاءتك الزبانية ليأخذوك الى النار فلا تمضي معهم قال لا يدعونني قال اذا كنت لا تقدر على الامتناع منهم ولا تدع المعصية فكيف ترجو الخلاص؟ قال حسبي ولزم ابراهيم - 00:03:30
عبد الله حتى مات. وابراهيم ابن ادهم له حكم في هذا وهو امام في الزهد. رحمة الله تعالى. قال واذا بليت بمعصية فبادر الى التوبة والاستغفار والندم وابك على خطيئتك فانك لا تدرى على ما انت فيه. كان بعضهم يقول لا تنظر - 00:03:50
من صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت. وشكى بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه فكتب يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار مع

خلود الابد واحذر ان يكون المنصرف بك من عند الله الى النار فيكون اخر العهد ومنقطع الرجاء فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم

- 00:04:10

عليه فقال ما اقدمك؟ قال خلعت قلبي بكتابك لا عملت لك ولا لاحد بعده. لانه وعظ بهذه الموعظة البليغة وعندما نتأمل نصوص الكتاب والسنة نجد ربط النصوص بالترغيب والترهيب. الترغيب بالجنة والترهيب بالنار. انظر الان - 00:04:30

يعني معظم الآيات القرآنية يأمر الله بامر ويعيذ بالجنة. ينهى عن شيء يتوعد بالنار هذا اعظم الاساليب واحسنها وانفعها اسلوب الترغيب والترهيب لا تجد اسلوبا احسن من اسلوب القرآن. ولذلك ينبغي للخطباء ان ينته gio منهج - 00:05:00

قرآن في موعظة الناس وفي الخطباء تجد بعث الخطباء يشغل الناس بآحاديث في وفي امور ما تنفعهم. وسائل الاعلام مليئة بالكلام عن السياسة والتحليلات السياسية. الناس اتوا للمسجد الجامع ي يريدون - 00:05:30

شيء يزداد به ايمانهم. يريدون شيئا ينفعهم في امور دينهم. ولذلك كان عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يعظ الناس بالقرآن. وكثيرا ما يركز على الموعظ. جاء في صحيح مسلم عن ام حارثة بنت هشام قالت - 00:05:50

حفظت سورة قاف الا من على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها كل جماعة على المنبر. يعني من كثرة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة قاف حفظتها هذه المرأة. ولذلك اذا اردت ان تعرف قوة الخطيب لا تنظر - 00:06:10

وبلاغته. انظر لاستشهاده بالنصوص. اذا كانت الخطبة مليئة بالنصوص فهذا دليل على قوته العلمية وعلى حرصه على اتباع السنة. قال الله قال رسوله. بعض الخطباء يا اخوان خطبته كلها ما تسمع فيها اية من - 00:06:30

او حديثا وهذا فيها قصور في ينبغي للخطيب اذا ان يستحضر بان المقام مقام الخطوة مقام عظيم. والله تعالى سمي الخطبة ذكر الله. قال اذا نودي للصلاه بيوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله. الملائكة - 00:06:50

لها اذا دخل الخطيب طويت الصحف واقوت الملائكة تستمعوا الذكر. ينبغي ان يركز على آآ موعظة الناس بالقرآن والسنة قال الله قال رسوله وفي ما يهمه وفي امور دينية. ويترك الاشياء الحديثة عن الامور السياسية ونحوها ليس هذا موضع - 00:07:10

تتكلم فيه على على المنبر. الناس اتوا للمسجد الجامعي يريدون شيئا ينفعهم في امور دينهم يريدون امرا يزيد به ايمانه. يريدون مثلا تصحيح وظع فيما يتعلق باخطاء يقعون فيها في امور الدين آآ معالجة مشاكل اجتماعية مثلا ونحو ذلك. اما اشغال الناس بالتحليلات

- 00:07:30

سياسية في خطب الجمعة هذا منهج غير سديد. وليس لها ايضا فائدة ما لها كبير فائدة. وربما يعترض عليك احد الحضور. يقول كلام يقوله تعالى غير صحيح امور كلها خاضعة لاجتهادات البشر. لكن اذا قلت قال الله ما احد يستطيع الاعتراض - 00:08:00

قال واعلم يا اخي ان الخطير عظيم والخطب جليل وانا قد عرضنا لامر لا تقوم له الجبال الشوامخ ولا الارض العريضة ولا السماء الرفيعة وللبحار الواسعة وحملنا امرا اشفقت من خلقه من حمله السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واسفون من - 00:08:20

وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا. امانة التكاليف عرضها الله تعالى على السماوات انها اطاعت اثبيت وان عصت عوقيت فابت. قالت يا رب لا اريد ان اكون مسخرة. لا اريد الاختيار وامانة التكاليف - 00:08:40

عرضها الله على الارض فابت كالسماءات. عرضها الله على الجبال فابت. عرضها الله على الانسان فقبل. انا عرضنا الامانة يعني امانة التكاليف على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واسفون منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا - 00:09:00

فان قال قائل انا لا اذكر ان الامانة عرضت علي. كيف نجيب عن هذا يقول ما اذكر من يجيب على هذا السؤال؟ نعم. بالاية لا هو يريد يقنع منطقي. اية موجودة في الاية لكن هو يقول انا ما اذكر. نعم. طيب هل تتذكر وقت ولادتك - 00:09:20

هل تتذكر يوم كنت في باطن امك؟ اذا كنت ما تذكر هذه الاشياء القريبة كيف تريد ان تتذكر آآ عرض الله الامانة او تتذكر ان الله اخذ منبني ادم من ظهورهم ذريتهم وشهادتهم على انفسهم ولست بربكم. ما قاله الله - 00:09:50

الله قال الرسول حق قطعا. هذا كله حصل. كوننا لا نتذكرة لا يستدعي النفي. انت ما تتذكرة وقت ولادتك ما تذكر لما كنت في بطن امك.

بل حتى ما تذكر لما كان عمرك سنة وستين. فكون الانسان ما يتذكر هذا لا يستدعي - 00:10:10

خلاص ولذلك تجد ان هذه اثارها تظهر. يعني مثلا اخذوا الله بني ادم من ظهورهم ذريتهم. لما جمع الله تعالى جميع بني ادم في الذر 00:10:30

واشهدهم على انفسهم ويسبدوا لربهم قالوا بلى شهدنا. هذا وقع قطعا لان الله اخبرنا به. تظهر اثاره متى - 00:10:50

وقت الشدة الملحد عندما يقع في شدة تجد انه يلجم الى الله الملحد ملحد وجود الله لو كان يمشي في الصحراء وحده وقع في بئر

ظلمة ماذا يقول؟ يقول يا الله لماذا؟ لانه - 00:10:50

نرجع لفطرته لان الله اخذ اه يعني اشهد على نفسه وهو في في مثاقيل الذرة الست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا. لكن هذا يغطيه الاطماع 00:11:10

لنا النار التي لا مثل لعذابها ووعدها الله تعالى ان يملأها منا ومن الجن فقال لامرأة جهنم من الجنة والناس اجمعين النار بين النبي 00:11:30

صلى الله عليه وسلم ان ظفت على نار الدنيا - 00:11:30 تسعوا وستين مرة. فهي جزء من سبعين جزءا. تصوروا يا اخوان هل احد يستطيع ان يضع يده في نار الدنيا دقيقة واحدة كيف بناء

ظفت عليه تسعوا وستين مرة ووعد الله بان يملأ النار. وان يملأ الجنة ايضا. اما النار - 00:11:50

بعد ما يدخل اهل النار الله لها هل امتلأت؟ تقول هل من مزيد؟ فيضع الرب عز وجل قدمه على النار فينزل وبعضا على 00:12:20

بعض وتقول قط يعني حسي حسي. هذا الحديث في الصحيحين. كيف ذلك؟ الله اعلم. يؤمن بها كما وردت - 00:12:20

اما الجنة فان الله ينشي خلقا اخر. فوعد الله بملئ الجنة وملئ النار ولكلكم على ملؤها وكيف حال من تشعرون النار في جسده كله 00:12:40

كلما نضج جلده بدل جلدا غيره يسحب في - 00:12:40 حميم قد انتهى حره على جسده ووجهه وصابون فوق رأسه فيصهر بهما في بطنه وينتزع عنه جلده ثم يسجر في نار تشعل في

جسمه وجلده ووجهه. ثم لا غاية لعذابها لا يفتر عنهم ولا يرجون منها فرجا. ان المجرمين في - 00:13:00

جهنم خالدون لا يفتح عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكنهم ولكن كانوا هم الظالمين. ونادوا يا ما لك من هو مالك خازن النار. ما قالوا يخرجنا ربك من النار. لأنهم يئسوا من هذا. ماذا قالوا - 00:13:20

ليقضي علينا ربك ما نريد حياة يقضي علينا ربك خلاص نريد عدم تصور اهل النار يريدون العدم ما يريدون الخروج ولا يطمعون في 00:13:40

دخول الجنة. يريدون العدم ليقضي علينا ربك. قال انكم ماكثون. لقد جئناكم بالحق - 00:13:40

لكن اكركم الحق كارهون قال لا يرحمون ان بکوا ولا يعذرون ان شکوا ولا يجابون ان دعوا ولا يعتبون ان يستعبوا فان يصبروا 00:14:00

فالنار مثب لهم وان يستعبوا فما هم من المعتدين. وتذكر النار والاشفاق منها - 00:14:00

والاستعاذه بالله من عذابها هذا ذكره الله تعالى من اوصاف المتقين. والذين يقولون هنا ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان 00:14:20

غريما انها ساءت مستقرة ومقاما. ربنا انك ما تدخل النار فقد اخزيته - 00:14:20

انا قبل في اهلنا مشفقيين يعني خائفين. فمن الله علينا ووقانا عذاب السماء. فالمسلم يخاف ويشفق من عذاب النار ويستعيير بالله 00:14:40

منها يا اخي المسلم لا يمر عليك يوم الا وقد سألت الله فيه الجنة واستعذت بالله من النار - 00:14:40

قد اخرج الترمذى وغيره بسند صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سأله العبد رب الجن جنة ثلاث مرات قالت الجن اللهم ادخله 00:15:00

الجنة. واذا استعاذه بالله من النار ثلاث مرات قال الله فيك يوم اخر جعل هذا مع اذكار الصباح - 00:15:00

والمساء اللهم اني اسألك الجنة واعوذ بك من النار كررها ثلاث مرات. اللهم انا نسألك الجنة ونوعذ بك من النار. اللهم انا نسألك الجنة 00:15:20

ونوعذ بك من النار. اللهم انا نسألك الجنة ونوعذ بك من النار. قال يروى ان عمر رضي الله عنه من بكثير من الرمل فقال مساكين اهل

النار. لو علموا ان - 00:15:20

اذا لبتو في جهنم عدد هذا الرمل ثم اخرجوا منها لكان لهم امد يمدون باعناقهم اليه لكنهم لا غاية لهم. يعني ما لهم امل ولا بعدد 00:15:40

الرمل. ومن كان هذا حاله ومن كان حاله هكذا فلا يأمن على نفسه ان يكون من اهلها فحقه - 00:15:40

والا يفطر من البكاء ولا يستقر به قرار. يعني يكون وجد مشفقا من عذاب الله عز وجل. فكن يا اخي على حذر ولا تأمن وانت معرض

لهذا الخطر كان بعضهم يبكي كثيراً فقيل له قال والله لو توعدني ربى ان يسجني في الحمام لكان حقي الا افتر من البكا فكيف -

00:16:00

وقد توعدنا ان يسجني في النار ان انا عصيته. كان يزيد الرقاشي كثير البكاء اذا دخل بيته بكى واذا خرج بكى واذا دخل المسجد بكى واذا جلس لاخوانه بكى يعني بعض الناس سريع الدمعة كثير البكاء فحذها من اوصاف آآ المتقين لا يكون غليظاً جواضاً -

00:16:20

فقال له ابنته يا ابتي كم تبكي؟ قال والله لو ان النار لم تخلق الا لك ما زدت يقول له ابنته والله لو ان النار لم تخلق لك ما زدت على هذا فبكى وقال تكلتك امك يا بني وهل خلقت النار الا لي ولاخوانى من الناس والجن؟ هذا من شدة خوفه وشفقته من عذاب الله -

00:16:40

اما تقرأ يا معاشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان. اما تقرأ يرسل عليكم اشواظ من نار سوف لا تنتصرا اما تقرأ فاذا شقت السماء فكانت بردة كالدهان فيبيا الله ربكم تكذبوا فيومنذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان بيان -

00:17:00

ربكم ان تكذبوا يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام. فبأي الاء ربكم تكذبوا هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم الان. فقام يجور في الدار وي بكى ويصرخ وقالت امه يا بني ما اردت ما اردت الله -

00:17:20

هذا من ابيك. قال والله ما اردت الا ان اهون عليه ما اردت ان ازيد عليه. فيعني هذه من القصص التي فيها بيان اشفاق كثير من السلف من جهنم ومن عذاب الله عز وجل. قال واعلم يا اخي ان الذي خاف منه اولئك نحن مثلهم فيه بل نحن احق -

00:17:40

فما الذي يأملنا دونه؟ المقصود من كلام المؤلف انه ينبغي ان يكون المسلم وجلاً مشفقاً كما حكى الله ذلك عن عباده ثم انتقل المؤلف للكلام عن فضائل الاعمال. قال واعلم رحمة الله ان حسن الخلق اثقل ما يوضع في الميزان -

00:18:00

وانه يبلغ بصاحبها درجة الصائم القائم. حسن الخلق اثقل ما يكون في ميزان العبد يوم القيمة. يقول عليه الصلاة والسلام اثقل ما يكون في ميزان العبد تقوى الله وحسن الخلق. والانسان بحسن خلقه -

00:18:20

درجة الصائم القائم. حسن الخلق له اثار حسنة على الانسان يترتب على حسن الخلق انه يلقي السلام والتحية. يترتب على حسن الخلق انه يحب لأخيه ما يحب لنفسه. يترتب على حسن الخلق -

00:18:40

انه اذا لقي اخاه يلقاءه طليق مبتسماً يترتب على حسن خلق فضائل كثيرة ولذلك ايتها الاخوة العبادة لا حصر في الشعائر التعبدية التي بين الانسان وربه لا بل تشمل كذلك علاقة الانسان بالاخرين -

00:19:00

هذا جاء في مسند الامام احمد بسند صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانة تكثر من صلاتها وصيامها وصدقها غير انها تؤذني جيرانها بمسانها. فقال النبي صلى الله عليه -

00:19:30

هي في النار. قيل وان فلانة ليست بكثيرة صلاة ولا صيام ولا صدقة غير ان لها اثوار تتصدق بها احياناً على جيرانها. وتحسن لجيرانها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي في الجنة -

00:19:50

الاولى علاقتها في في الشعائر التعبدية بينها وبين الله جيدة كثيرة الصلاة والصيام والصدقة لكن عندها مشكلة في العلاقات مع الجيران هنا النبي عليه الصلاة والسلام قال هي في النار. الثانية لا يعني تقتصر على الفرائض واحياناً تتصدق لكن علاقتنا -

00:20:10

بحيرانها جيدة. النبي عليه الصلاة عليه الصلاة والسلام قال هي في الجنة. فاذا العبادة لا تقتصر فقط على على علاقة الانسان بربه فحسب بل تشمل كذلك علاقته بالاخرين. الانسان سليط اللسان الذي يؤذني جيرانه يؤذني اصحابه يؤذني -

00:20:30

اقاربه هذا على خطير عظيم. تجد بعض الناس يعني كما يقال حمامه مسجد. دائمًا يصل صوموا ويكثر الذكر لكنه سليط اللسان يؤذني الاخرين. اما بمسانه او بكتاباته. هذا على خطير عظيم -

00:20:50

وهذا يدل على ان عنده مشكلة وعنه خلل. في فهم العبادة قال وان من وصل رحمة وصله الله ومن قطعها قطعه الله. صلة الرحم لما

- خلق الله الخلق قهوة الرحم وتعلقت بالعرش وقالت يا ربى هذا مقام العائد بك من القطيعة. فقال الله اما ترضين ان اصل من وصلك

00:21:10

طعمه قطعك ؟ قالت بلى. قال فذلك لك. متفق عليه. ان وصل رحمه وصله الله. ما معنى وصله الله ما معنى قطعه الله ؟ من اجيب عن
هذا السؤال ؟ نعم. اوصله الله عز وجل الى الجنة برحمته - 00:21:40

او منعه من الجنة لا لو كان هذا هو المقصود لقال وصله الله بالجنة وادخله الله الجنة معنى اخر غير هذا - 00:22:00